مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

مكانة الزمان في الدعاء من منظور القرآن والتوراة دراسة تحليلية

البروفيسور عليرضا النوبرى

a.nobari@ut.ac.ir

الكاتب والمسؤول وعضو هيئة التدريس في كلية المعارف والفكر الإسلامي جامعة طهران

م.م. نبأ عبد اللطيف عباس

جامعة طهران كلية المعارف والفكر الإسلامي قسم علوم القرآن والحديث

alwash.abdulateef@ut.ac.ir

الملخص

تناولت الدراسة مفهوم «زمن الإجابة» بوصفه بُنيةً دلالية– تربوية في النصوص السماوية، عبر تحليلٍ مقارنٍ بين القرآن الكريم والتوراة. وانطلقت من فرضيةٍ مؤداها أنّ الاستجابة الإلهية لاتُختزل في بعدها الزمني، بل تؤسّس إطارًا لاهوتيًا ومعرفيًا يُعيد تشكيل الوعي الديني. واعتمدت المنهج التحليلي–المقارن لرصد أربعة أنماط للإجابة: الفورية، والتدريجية، والمشروطة، والمؤجّلة، بوصفها استراتيجياتٍ تربويةً متكاملة لا تعارض بينها. وأظهرت النتائج أنّ القرآن يمنح الزمن بُعدًا تزكويًا فرديًا، حيث يرتبط التأخير بتهذيب النفس وتعميق الصبر والتوكّل، فيتحوّل الدعاء إلى مسارٍ لإعادة بناء الداخل الإيماني. أمّا التوراة فتبرز فيها الدلالة التاريخية– الجماعية، إذ يرتبط زمن الإجابة بسياق العهد والتحولات القومية، فيسهم في تشكيل الهوية الدينية الجمعية. وخلصت الدراسة إلى أنّ «زمن الإجابة» آليةٌ إلهية لإعادة توجيه الضمير الأخلاقي، وبناء شخصيةٍ مؤمنةٍ واعية بالفارق بين الزمن الإلهي والزمن البشري، وبأنّ الدعاء عمليةٌ تكوينية مستمرة تتجاوز حدود الطلب اللحظي.

الكلمات المفتاحية:(زمن الإجابة، الدعاء، القرآن الكريم، التوراة، الدراسة المقارنة).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

The Role of "Time" in Supplication from the Perspective of the Qur'an and the Torah: An Analytical Study

Professor Al-Nobari
Alireza Al-Nobari
a.nobari@ut.ac.ir
Author, Administrator, and Faculty Member, Faculty of Islamic Studies and Thought, University of Tehran
M.M. Naba Abdel Latif Abbas
University of Tehran, Faculty of Islamic Studies and Thought, Department of Qur'anic and Hadith Sciences
alwash.abdulateef@ut.ac.ir

Abstract

This study examines the concept of "the time of response" as a semantic-educational structure in divine texts, through a comparative analysis of the Holy Qur'an and the Torah. It begins with the premise that divine response is not limited to its temporal dimension, but rather establishes a theological and epistemological framework that reshapes religious consciousness. The study adopted an analytical-comparative approach to identify four patterns of response: immediate, gradual, conditional, and delayed, as integrated educational strategies that do not contradict each other. The results showed that the Quran gives time an individual, purifying dimension, where delay is linked to self-discipline and the deepening of patience and reliance on God, thus transforming supplication into a path for rebuilding inner faith. In contrast, the Torah highlights a historical-collective significance, where the time of response is linked to the context of the covenant and national transformations, contributing to the formation of collective religious identity. The study concluded that the "time of response" is a divine mechanism for redirecting the moral conscience and building a conscious, believing personality aware of the difference between divine and human time, and that supplication is a continuous formative process that transcends the limits of momentary requests.

Keywords: (Time of response, supplication, the Holy Quran, the Torah, comparative study)

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

المقدّمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، حمداً يليقُ بجلالِ وجهِه وعظيمِ سلطانِه، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ خاتمِ النبيين، ورحمةِ اللهِ للعالمين، وعلى آلة الطيبين الطاهرين، وصحبهِ المنتجبين، ومن سارَ على نهجِهم واقتفى أثرهم إلى يومِ الدين.

أما بعد. تبحث هذه الدراسة في البنية الزمنية لاستجابة الدعاء في القرآن الكريم والتوراة بوصفها إطارًا لاهوتيًا–تربويًا يكشف طبيعة العلاقة بين الإنسان والإله. وتنطلق من فرضية أن "زمن الإجابة" ليس عنصرًا عرضيًا، بل أداة مقصودة في تشكيل الوعي الديني وبناء الإنسان روحيًا وأخلاقيًا. وتتمحور الإشكالية حول ما إذا كان تنوّع أنماط الاستجابة يعكس ظروفًا تاريخية متفرقة، أم يُعبّر عن منظومة سننيه متكاملة تتصل بتربية الفرد والجماعة.

تعتمد الدراسة المنهج التحليلي–المقارن لرصد أربعة أنماط رئيسة للاستجابة: الفورية، والتدريجية، والمشروطة، والمؤجّلة، ثم تحليل أبعادها اللاهوتية والتربوية في كلا النصين. وتُظهر النتائج أن القرآن الكريم يميل إلى إبراز البعد النفسي–الروحي؛ إذ يرتبط تحقق الإجابة بإصلاح القلب وتعميق التوكل والصبر، فيتحول الزمن إلى مسار تزكية داخلية. أما التوراة فتؤكد البعد التاريخي– الجماعي، حيث تتصل الإجابة بسياق العهد ومسار الأمة، ويغدو الزمن إطارًا لتحقيق خطة إلهية ممتدة عبر الأجيال.

وتخلص الدراسة إلى أن الدعاء في النصين ليس فعلاً آنياً، بل جزء من نظام أخلاقي شامل، وأن الزمن يمثل أداة إلهية لتكوين الإنسان فردًا وجماعة، بما يمنح البحث بعدًا لاهوتيًا–أنثروبولوجيًا واضحًا.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في وجود تباين دلالي ومنهجي في معالجة زمن الإجابة الإلهية بين القرآن الكريم والتوراة؛ إذ يُقدَّم الزمن في القرآن ضمن إطار فردي– روحي يرتبط بتزكية النفس وتعميق الإيمان، بينما يظهر في التوراة ضمن أفق جماعي–تاريخي يتصل بالعهد وهوية

الأمة. ومن هنا تبرز الحاجة إلى تحليل البنية اللاهوتية الكامنة خلف هذا التفاوت، والكشف عما إذا كان يعكس اختلافًا جوهريًا في الرؤية العقدية أم تنوعًا في الوظيفة التربوية.

أسئلة البحث الرئيسة

-هل اختلاف زمن الإجابة بين النصين اختلافٌ لاهوتي أم تنوّع تربوي في المقاصد؟

-كيف تعمل أنماط الإجابة الأربعة (الفوري، التدريجي، المشروط، المؤجّل) داخل كل نص؟

-هل الزمن عنصرٌ خارجي أم أداة تكوينية في بناء الإنسان؟

-ما أثر التأجيل أو الاشتراط في تشكيل الوعي الأخلاقي والديني؟

(الحلول العلمية)

الزمن ليس ظرفًا عارضًا، بل أداة تربوية مقصودة في الخطاب الديني.

أنماط الإجابة الأربع تخضع لمنظومة سننيه واحدة قائمة على الحكمة الإلهية.

القرآن يركّز على التكوين الروحي الفردي، والتوراة تُبرز البعد الجماعي-التاريخي.

التأجيل والتدرّج والاشتراط وسائل لبناء الصبر والمسؤولية وتعميق الثقة بالله.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والمنهجية، يمكن إجمالها فيما يأتي:

تأصيل مفهوم "زمن الإجابة" بوصفه مفهومًا دلاليًا-لاهوتيًا، لامجرد تعبيرٍ وصفي مرتبط بحدوث الإجابة.

-تحليل الأنماط الأربعة للاستجابة الإلهية (الفوري، التدريجي، المشروط، المؤجّل)، وبيان حضورها ووظيفتها في كلٍّ من القرآن الكريم والتوراة.

-الكشف عن الأبعاد التربوية والنفسية والاجتماعية الكامنة خلف اختلاف أنماط الإجابة، وبيان أثرها في تشكيل السلوك الديني.

-إبراز نقاط الاشتراك والاختلاف بين النصين في بناء العلاقة بين الدعاء والزمن، مع رصد الخلفية اللاهوتية لكل منهما.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

–تقديم قراءة مقارنة ذات بعدٍ شيعي–تحليلي تستند إلى المنهج التفسيري الأمامي، وتوظّف أدوات التحليل النصي والمقارن.

–إعادة قراءة مفهوم الزمن في الدعاء بوصفه أداةً تربوية مقصودة، تسهم في صناعة الصبر، وترسيخ الثقة بالله، وتعميق الشعور بالمسؤولية الأخلاقية.

المبحث الأول: زمن الإجابة في القرآن الكريم

مقارنة زمن الإجابة / تحليل الأنماط الأربعة: الفوري، التدريجي، المشروط، المؤخّر مع الاختلافات في المنطق التربوي–اللاهوتي

١. نمط الإجابة الفورية إنَّ مفهوم الإجابة الفورية في المنظور القرآني والتفسيري الأمامي لا يُفهم بوصفه مجرّد تعجيلٍ في تحقق المطلوب، بل باعتباره تجلّياً لنظام سننيّ إلهي يرتبط بتحقق شروط وجودية مخصوصة في الداعي، وفي مقدّمتها: الاضطرار، والإخلاص، وانقطاع التعلّق بغير الله. فالقرآن الكريم يؤسس لهذا النمط بقوله تعالى:﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (سورة النمل ،اية٦٢) وقد قرر محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان أن الاضطرار ليس مجرد حالة نفسية عابرة، بل هو انكشاف وجودي تسقط فيه الوسائط الظاهرية، فيتجه القلب بكليته إلى المبدأ الحق، وعندئذٍ تتحقق مناسبة خاصة بين الفيض الإلهي وقابلية العبد (الطباطبائي ،١٩٩٧،ص٣٧١). فالإجابة هنا ليست استثناءً لقانون، بل هي تحقق لشرط سنني قائم على تمام الانقطاع. ويؤكد الشيخ الطوسي في التبيان أن الاستجابة مرتبطة بصدق التوجّه، وأن الآية تفيد وعداً إلهياً عاماً مشروطاً بتحقق حقيقة الاضطرار، لا بمجرد التلفظ بالدعاء (الطوسي،١٩٩٠،ص٤٢١). وهذا التحليل يكشف عن بُعدٍ لاهوتي عميق مفاده أن الفورية ليست زمنية فحسب، بل هي نتيجة تطابق الإرادة الإنسانية الخالصة مع مقتضى الحكمة الإلهية.

الشاهد التطبيقي: دعاء يونس (ع) يُعدّ نموذج يونس مثالاً قرآنياً واضحاً للإجابة الفورية، إذ يقول تعالى:﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء ، اية ٨٧) ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ (الأنبياء، اية ٨٨) إن التعقيب القرآني

بـ«فاستجبنا» يفيد الفورية والتعقيب بلا مهلة، وهو ما أشار إليه المفسرون الأمامية بوصفه دليلاً على تحقق الشرط الوجودي الكامل في لحظة الدعاء. ويرى الشيخ الطبرسي في مجمع البيان أن اجتماع الاعتراف بالتقصير مع تنزيه الله شكّل كمال العبودية، فاستحقت الإجابة العاجلة (الطبرسي، ١٩٩٥،ص١٠٢).

البعد التربوي– اللاهوتي: في الإطار التربوي، تمثل الإجابة الفورية مرحلة تأسيسية في بناء اليقين؛ إذ تترسخ لدى المؤمن قناعة عملية بفاعلية العلاقة مع الله. ويُفهم هذا ضمن منهج الابتلاء والتربية التدريجية الذي يتدرج فيه الإنسان بين أنماط متعددة من الإجابة (فورية، مؤجلة، مشروطة). فالفورية هنا تؤدي وظيفة تثبيت الإيمان، خاصة في البدايات الروحية. وقد ورد في الحديث النبوي الشريف: «الدعاء سلاح المؤمن» (الكليني،١٤٠٧،ص٤٦٨) كما روي عن محمد قوله: «ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجَّل له دعوته، وإما أن يُدَّخر له في الآخرة، وإما أن يُصرف عنه من السوء مثلها» (الكليني ،١٤٠٧،ص٤٧٠). وهذا الحديث يؤسس لقاعدة لاهوتية مهمة: أن التعجيل أحد أنماط الإجابة الممكنة ضمن حكمة إلهية أشمل، مما يدل على أن الفورية ليست قاعدة مطلقة، بل هي نمط مخصوص يتحقق عند اكتمال شروطه.

٢. تُعدّ الإجابة التدريجية من أبرز أنماط الاستجابة الإلهية في التجربة الدعائية، حيث لا تتحقق الاستجابة دفعة واحدة، بل عبر مسار زمني تتكامل فيه التربية الإلهية مع مقتضيات الحكمة. وقد أشار المفسرون الأمامية إلى أن تأخير الإجابة أو تدرّجها لا يدل على عدم القبول، بل قد يكون أعمق أثرًا في تكميل النفس وإعدادها (الطوسي ،١٤٠٩،ص٤٥٦).ويرى الشيخ الطوسي أن الحكمة الإلهية قد تقتضي إعداد الداعي نفسيًا وروحيًا قبل تحقّق المطلوب، لأن الغاية ليست تحصيل الحاجة فحسب، بل بلوغ مرتبة التسليم والرضا. فالتدرّج هنا يرتبط بنظام الابتلاء والتكميل، وهو جزء من سنن الله في تربية عباده (الطوسي،١٤٠٩،ص١١٢).

أولًا: المثال القرآني – موسى عليه السلام

إن قصة نبي الله موسى مع بني إسرائيل تكشف بوضوح مبدأ الإجابة التدريجية؛ فقد امتد الدعاء والمناجاة زمنًا طويلًا قبل تحقق المطالب الجماعية، من طلب النجاة من فرعون إلى طلب نزول المائدة والرزق. ولم يكن الخلاص حدثًا لحظيًا، بل سلسلة من المراحل التربوية التي أعادت تشكيل وعي الجماعة (الطبرسي،١٤١٥،ص٢١٥).

ثانيًا: المثال القرآني – أيوب عليه السلام

أما نبي الله أيوب فيمثل الصورة الأوضح للصبر المرتبط بالإجابة التدريجية؛ إذ طال به البلاء، وكان دعاؤه تعبيرًا عن تسليمٍ عميق: ﴿رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. وقد ذهب المفسرون الأمامية إلى أن الاستجابة لم تكن مجرد رفع للبلاء، بل كانت تتويجًا لمسار طويل من التهذيب الروحي (الطباطبائي ،١٩٩٧،ص٣٧٨).

التحليل اللاهوتي–التربوي

–التأخير لا يعني الرفض بل قد يدل على عناية أعمق.

–التدرج يكشف أن الدعاء مشروع بناء للنفس لا مجرد تحصيل حاجة.

–الزمن عنصر من عناصر التربية الإلهية.

–الاستجابة قد تكون في التهيئة الداخلية قبل التحقق الخارجي.

الخلاصة هي بيان أن نمط الإجابة التدريجية يمثل تجليًا للحكمة الإلهية في إدارة العلاقة بين العبد وربه، حيث تتحول عملية الدعاء إلى مسار تكاملي يربي الصبر، ويعمّق الثقة، ويعيد تشكيل الوعي الإيماني. وهو النمط الغالب في قصص الأنبياء كما عرضته التفاسير الشيعية، مما يكشف أن الغاية الأسمى ليست سرعة تحقق المطلوب، بل بلوغ مقام الرضا والتسليم.

٣. نمط الإجابة المشروطة في ضوء التفسير الشيعي يرى المفسرون الأمامية أن بعض الاستجابات الإلهية لا تتحقق إلا بتحقق شروط أخلاقية وروحية سابقة، كصدق النية، وترك المعصية، وردّ المظالم، وإصلاح العلاقة مع الناس. فالدعاء في المنظور الشيعي ليس فعلًا

منفصلًا عن البنية الأخلاقية، بل هو مرتبط بمنظومة التزكية والعمل (الكليني ،١٤٠٧،ص٤٧٣). ويؤكد الشيخ الطبرسي في مجمع البيان أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ يدل على وجود شرط داخلي سابق للاستجابة، وهو التغيير النفسي والأخلاقي؛ فالتغيير الخارجي الإلهي مترتب على إصلاح الباطن (الطبرسي،١٤١٥،ص٣٠١). كما يذهب العلامة الطباطبائي إلى أن الآية تؤسس لقانون اجتماعي–روحي عام، فالله تعالى جعل التبدل في المصير مرتبطًا بسنّة داخلية هي سنّة التزكية، مما يعني أن الدعاء وحده لا يغيّر الواقع ما لم يقترن بتحول حقيقي في السلوك والنية (الطباطبائي، ١٩٩٧،ص٣٧٢).

التحليل التربوي: من الناحية التربوية، يتحول الدعاء هنا إلى وسيلة إصلاح ذاتي؛ فبدل أن يكون مجرد طلب، يصبح مشروع مراجعة للنفس، ومحاسبة للضمير، وإعادة بناء للعلاقات الاجتماعية. وهكذا تتكامل العبادة مع العمل، ويتحوّل الدعاء إلى أداة تربوية لإنتاج المسؤولية الأخلاقية (الكاشاني،١٤١٧،ص١١٢).

أمثلة قرآنية على الإجابة المشروطة

أولًا: دعاء النبي محمد في سياق الإصلاح الاجتماعي

إنَّ دعاء النبي محمد في سياق بناء المجتمع الإسلامي كان مرتبطًا بإقامة العدل، وإصلاح النفوس، وترسيخ التقوى؛ فلم تكن الاستجابة منفصلة عن مشروع إصلاح أخلاقي واجتماعي شامل. وقد أشار المفسرون الأمامية إلى أن النصر الإلهي في بدر والأحزاب كان مشروطًا بتحقق الطاعة والوحدة وترك التنازع (الطباطبائي،١٩٩٧،ص٢٧).

ثانيًا: دعاء إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة

يمثل دعاء نبي الله إبراهيم عند رفع قواعد البيت الحرام صورة واضحة للإجابة المشروطة، إذ قال:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾، فجعل القبول مرتبطًا بالتقوى والطاعة. وقد أوضح المفسرون الأمامية أن بناء الكعبة لم يكن مجرد عمل عمراني، بل مشروع عبادي قائم على صفاء النية وتحقيق مقام التسليم (الطبرسي،١٤١٥،ص٣٩٥).

الخلاصة: يتبين أن نمط الإجابة المشروطة يؤسس لقاعدة قرآنية عامة مفادها أن الدعاء لا يعمل في فراغ أخلاقي، بل في سياق منظومة سننيه تجعل التغيير الإلهي مترتبًا على التغيير البشري. وهو نمط يعمّق مفهوم المسؤولية، ويجعل من الدعاء أداة تزكية قبل أن يكون وسيلة طلب، فيتجلى التلازم بين العبادة والعمل، وبين الإيمان والسلوك.

٤ . نمط الإجابة المؤخَّرة (الحكيمة) في ضوء التفسير الشيعي تمثل الإجابة المؤخَّرة ذروة التعقيد اللاهوتي في فلسفة الدعاء؛ إذ لا يكون التأخير علامة رفض، بل مظهرًا من مظاهر الحكمة الإلهية في تدبير المصالح ودفع المفاسد. وقد ذهب مفسرو الأمامية إلى أن الله تعالى قد يؤخر الإجابة لعلمه بعواقب الأمور، فيصرف الدعاء إلى صورة أصلح للعبد، إمّا بدفع ضرر، أو بادخار ثواب، أو بتحويل الأثر إلى شكل آخر من الرعاية الإلهية.

(الكليني،١٤٠٧،ص٤٩١)

التحليل اللاهوتي: الحكمة قبل العجلة: إن هذا النمط يقوم على مبدأ أن علم الله أسبق من إدراك الإنسان، وأن الحكمة الإلهية قد ترى في التأجيل مصلحةً أعلى من التعجيل. فالإجابة ليست محصورة في الصورة المطلوبة، بل قد تتحقق في صورة دفع ضرر خفي أو ادخار أجر أخروي (الطوسي،١٤٠٩،ص٢٨٩).

التحليل التربوي: تربية الثقة المطلقة

تربويًا، يجسد هذا النمط بناء «الثقة المطلقة بالله»، حيث يتعلم المؤمن أن معيار القبول ليس السرعة، بل الحكمة. فالتأجيل يدرّب النفس على الصبر العميق، ويحررها من التعلق الزمني الضيق، ويغرس فيها الاطمئنان إلى حسن التدبير الإلهي.

(الكاشاني،١٤١٧،ص١١٩)

أمثلة قرآنية على الإجابة المؤخَّرة

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

أولًا: دعاء زكريا عليه السلام

يمثل دعاء نبي الله زكريا نموذجًا واضحًا للإجابة المؤجلة؛ فقد دعا ربّه طويلًا بطلب الولد، حتى بلغ الشيخوخة، ثم جاءت الاستجابة في الوقت الذي قدّره الله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾. وقد أوضح المفسرون الأمامية أن تأخير الإجابة كان مرتبطًا بحكمة إظهار القدرة الإلهية، وتعميق مقام الرجاء، وإبراز أن العطاء الإلهي غير خاضع للسنن المادية المعتادة.

(الطبرسي،١٤١٥،ص٨٨)

ثانيًا: الدعاء في زمن الغيبة والاختبار الروحي

يرى علماء الأمامية أن دعاء المؤمنين في زمن الغيبة يدخل ضمن سنن التأجيل الحكيم؛ إذ يرتبط ظهور الفرج بتحقق شروط روحية واجتماعية، ويعدّ طول الانتظار مدرسة في بناء الصبر وتعميق الارتباط بالإمام الغائب. وقد اعتبر علماء الكلام الأمامية أن الغيبة امتحان إيماني يتكامل فيه عنصر الدعاء مع عنصر الابتلاء (المجلسي،١٤١٥،ص١٢٢).

الخلاصة: يتضح أن نمط الإجابة المؤخَّرة (الحكيمة) يؤسس لفهم عميق لطبيعة العلاقة بين الإنسان وربه؛ فالتأجيل ليس نقيض القبول، بل قد يكون صورة أسمى منه. وهو نمط يعمّق الثقة، ويؤكد شمول العلم الإلهي، ويجعل الدعاء أداة ارتقاء إيماني لامجرد وسيلة تحصيل عاجل.

وبهذا تكتمل لدينا الأنماط الأربعة: الفوري، التدريجي، المشروط، المؤخَّر، ضمن رؤية تفسيرية، كلامية شيعية متكاملة.

٥. المقارنة العامة المقارنة العامة بين أنماط الإجابة الأربعة في المنظور التفسيري الأمامي

التمهيد نظري: تكشف دراسة أنماط الإجابة الإلهية للدعاء في الفكر التفسيري الأمامي عن بنية سننيه–لاهوتية متكاملة، لاتُفهم في إطار التقسيم الزمني فحسب، بل في ضوء شبكة من المفاهيم المركزية: الحكمة، السنن الإلهية، التزكية، الابتلاء، والتكامل الوجودي للإنسان. فالفورية، والتدرج، والاشتراط، والتأجيل ليست صورًا متباينة متنافرة، بل تجليات متعددة لعلاقة

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

واحدة بين العبد وربه، تحكمها قوانين إلهية ثابتة، ويكشف عنها النص القرآني وتفاسير الأمامية بوضوح منهجي (الطباطبائي،١٤١٧،ص٤٥).

أولاً: المقارنة من حيث البنية السنية

١-الإجابة الفورية: سنّة الانكشاف الوجودي يقوم هذا النمط على تحقق شرط الاضطرار والانقطاع الكامل، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾. يفسر العلامة محمد حسين الطباطبائي الاضطرار بوصفه سقوط الوسائط الشعورية وانكشاف القلب على الحقيقة الإلهية، فيتحقق التناسب بين الفيض والقابلية (الطباطبائي،١٤١٧،ص٣٧٣). وهنا تكون الإجابة نتيجة اكتمال الشرط الوجودي فورًا.

٢- الإجابة التدريجية: سنّة التكميل عبر الزمن في هذا النمط، يعمل الزمن بوصفه عنصرًا تربويًا، حيث تتكامل شخصية الداعي عبر مسار طويل من الابتلاء، كما في قصتي موسى وأيوب عليهما السلام.

٣- الإجابة المشروطة: سنّة التغيير الذاتي هذا النمط مؤسس على القاعدة القرآنية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾. يؤكد الشيخ الطبرسي أن التغيير الإلهي مشروط بإصلاح الباطن، وأن الدعاء لا يعمل في فراغ أخلاقي (الطبرسي،١٤١٥،ص٣١٢). وهنا تتحقق الإجابة بعد تحقق شرط أخلاقي سابق.

٤-الإجابة المؤخَّرة: سنّة الحكمة الشاملة يمثل هذا النمط ذروة التعقيد اللاهوتي؛ إذ قد تتحول الإجابة إلى دفع بلاء أو ادخار ثواب. يرى أبو القاسم الخوئي أن التأجيل قد يكون «إجابة تحويلية» داخل نظام الأسباب العام (الخوئي،١٤١٨،ص٤١٢). فالتأجيل هنا مرتبط بـ علمٍ إلهيٍ محيطٍ بالمآلات.

ثانيًا: المقارنة من حيث المنطق اللاهوتي

- النمط
- مركز الثقل اللاهوتي
- طبيعة العلاقة

- الفوري
- انكشاف الاضطرار
- تطابق لحظي بين القابلية والفيض
- التدريجي
- الابتلاء والتكميل
- تربية ممتدة عبر الزمن
- المشروط
- التزكية والمسؤولية
- ربط العطاء بالإصلاح
- المؤخَّر
- الحكمة والمآلات
- تقديم المصلحة العليا

يتضح هنا أن الفورية تُبرز قرب الله واستجابته،

والتدرج يُبرز منهج التربية الإلهية،

والاشتراط يُبرز العدل والمسؤولية الأخلاقية،

والتأجيل يُبرز الحكمة والعلم المحيط.

ثالثًا: المقارنة من حيث الوظيفة التربوية

- الفورية: تثبيت اليقين في المراحل التأسيسية للإيمان.
- التدرج: بناء الصبر وتوسيع أفق الرضا.
- الاشتراط: إنتاج المسؤولية الأخلاقية وربط العبادة بالسلوك.
- التأجيل: تعميق الثقة المطلقة بحسن التدبير الإلهي.

ويلاحظ أن هذه الأنماط تمثل مسارًا تربويًا تصاعديًا:

من تثبيت الإيمان ← إلى تهذيب النفس ← إلى تحمّل المسؤولية ← إلى بلوغ مقام التسليم المطلق.

رابعًا: المقارنة من حيث الفلسفة الوجودية للدعاء

في ضوء تفسير الفيض الكاشاني، الدعاء ليس مجرد طلب، بل حركة وجودية تصاعدية تعيد تشكيل علاقة الإنسان بالمطلق (الكاشاني،١٤١٥،ص٩٨).وعليه:

- الفورية تعكس لحظة صفاءٍ كاشف.
- التدرج يعكس حركة تكامل.
- الاشتراط يعكس قانون المسؤولية.
- التأجيل يعكس أفق الغيب والحكمة.

فتتكامل الأنماط الأربعة ضمن رؤية واحدة ترى أن الدعاء مشروع بناء إنساني شامل.

خامسًا: الرؤية التركيبية الشاملة

يمكن القول إن هذه الأنماط الأربعة تمثل مستويات متداخلة لا متقابلة:

قد يبدأ الدعاء فوريًا ثم يتحول إلى مسار تدريجي.

وقد يكون مشروطًا في بعض أبعاده، مؤجلًا في أخرى.

وقد تتحقق بعض آثاره باطنًا قبل أن تظهر آثاره ظاهرًا.

وهذا ما يؤكده تفسير محمد حسين الطباطبائي من أن الاستجابة لا تنحصر في الصورة المطلوبة، بل تتحقق بحسب مقتضى الحكمة والنظام العام للوجود.

(الطباطبائي، ١٤١٧،ص٢١٤)

الخلاصة العامة من هذه المقارنة هي: إن المقارنة بين أنماط الإجابة الأربعة تكشف عن نسق

عقدي– تربوي متكامل في الفكر الأمامي، يقوم على المبادئ الآتية:

- الدعاء داخل في نظام السنن الإلهية لا خارج عنها.
- الاستجابة مرتبطة بالقابلية الوجودية والأخلاقية.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

- الزمن عنصر تربوي لا مجرد إطار خارجي.
- الحكمة الإلهية هي المعيار الأعلى في تحديد صورة الإجابة.

وبذلك يتبين أن الفورية ليست الأصل المطلق، ولا التأجيل دليل حرمان، بل إن كل نمط يمثل وجهًا من وجوه العناية الإلهية، ويؤدي وظيفة مخصوصة في بناء الإنسان المؤمن، حتى يبلغ مقام الرضا والتسليم.

المبحث الثاني: زمن الإجابة في التوراة

الجزء التوراتي – مقارنة زمن الإجابة: الأنماط الأربعة

أولاً: نمط الإجابة الفورية في التوراة يُعدّ نمط الإجابة الفورية في النصّ التوراتي من أبرز المظاهر التي تكشف عن التصوّر العبري لطبيعة العلاقة بين الإنسان والله، إذ لا يُقدَّم الدعاء بوصفه طلباً مجرّداً، بل يُدرج ضمن سياق تاريخي–خلاصي تتداخل فيه الإرادة الإلهية مع مجريات الواقع. فالاستجابة الفورية لاتُفهم على أنّها مجرّد تحقيق آنيّ للرغبة، وإنما هي إعلان عن حضور إلهي مباشر يتجلّى في لحظة حاسمة من مسار الجماعة أو الفرد (شبلي،١٩٨٨،ص١١٢). ومن أوضح الشواهد على ذلك ما ورد في قصة النبي إليّا (إيليا) في سفر الملوك الأول، حين دعا بعد سنوات من القحط، فاستجاب الله بإنزال المطر مباشرة عقب تحقق شروط التوبة والرجوع القلبي لدى بني إسرائيل (سفر الملوك الأول ١٨: ٤١–٤٥) (سفر الملوك،١٩٩٣، ٤١–٤٥). إنّ السياق النصّي يربط الاستجابة بظرف وجودي ضاغط (الجفاف والمجاعة)، ويجعلها علامة تصديق لرسالة النبي، لا مجرد إرواء لحاجة طبيعية. كذلك نجد في روايات شاول وداود (سفر صموئيل الأول) أن التوجّه بالسؤال إلى الله كان يعقبه إرشاد مباشر يحدد القرار السياسي أو العسكري، كما في استشارة داود للرب قبل خوض المعارك (صموئيل الأول ٢٣: ٢–٤) (سفر صموئيل،١٩٩٣، ٤–٢). هنا تتخذ الإجابة الفورية طابعاً توجيهياً، إذ تمثل تدخلاً في صناعة القرار، بما يكشف أن مفهوم الاستجابة في التوراة يتجاوز البعد الفردي إلى البعد القومي– التاريخي.

التحليل اللاهوتي

من الناحية اللاهوتية، تعبّر الإجابة الفورية عن إيمان التوراة بإله فاعل في التاريخ، لا يقتصر حضوره على التشريع أو الوعد المستقبلي، بل يتدخّل آنياً في مسار الأحداث. إنّ هذا التصور يرتبط بمفهوم "الإله الحي" الذي يسمع ويستجيب (مزمور ٣٤: ١٧)، ويؤكد على مبدأ العهد؛ فحين يلتزم الشعب بشروط العهد، تتجلّى الاستجابة بسرعة بوصفها برهاناً على وفاء الله.

(المسيري،١٩٩٩،ص١٤٥)

البعد التربوي

تربوياً، تؤدي الإجابة الفورية وظيفة تقويمية– إيمانية؛ فهي تعيد ضبط وعي الجماعة، وتؤكد أن التاريخ ليس حركة عمياء، بل ساحة اختبار أخلاقي. فاستجابة المطر في زمن إليّا لم تكن حدثاً مناخياً فحسب، بل درساً تربوياً يُرسّخ قيمة التوحيد وينقض عبادة البعل (مؤنس،١٩٧٣،ص٨٧). كما أن الإرشاد الفوري لداود قبل المعركة يعلّم مبدأ التروّي واستشارة الله قبل اتخاذ القرار، ما يعزز قيمة المسؤولية الروحية في القيادة.

البعد العلمي– التاريخي

من منظور الدراسات الكتابية الحديثة، يُنظر إلى هذه النصوص ضمن إطار اللاهوت التاريخي (Theological History)، حيث تُروى الأحداث لإبراز المعنى الديني لا لمجرد التسجيل الوقائعي. يرى بعض الباحثين أن سرد الإجابة الفورية يخدم غرض تثبيت الهوية الدينية للجماعة في فترات الأزمات السياسية (حسن،٢٠٠٢،ص١٣٤). وهذا التحليل لا ينفي البعد الإيماني، بل يفسّر الوظيفة النصّية للرواية ضمن سياقها الحضاري.

مقارنة تمهيدية بين القران الكريم والتوراة إذا قورنت الإجابة الفورية في التوراة بما نجده في القرآن الكريم، يظهر أن كليهما يربطان الاستجابة بحالة الاضطرار أو الإخلاص، غير أن التوراة تبرز الطابع التاريخي– القومي بصورة أوضح، حيث تُصوَّر الإجابة حدثاً يؤثر في مصير الأمة بأكملها، لا مجرد استجابة فردية.

الخلاصة

يمكنا تلخيص خصائص نمط الإجابة الفورية في التوراة في النقاط الآتية:

- ارتباطها بلحظات تاريخية حاسمة (قحط، حرب، أزمة قيادية).
- اتصالها بمفهوم العهد والوفاء الإلهي.
- أداؤها وظيفة تربوية تصحيحية للجماعة.
- إبرازها صورة الإله الفاعل في الزمن والتاريخ.

وعليه، فإن زمن الإجابة في هذا النمط ليس زمناً زمنياً فحسب، بل زمنٌ دلاليّ يكشف عن لحظة التقاء الإرادة الإنسانية بالاستجابة الإلهية ضمن سياق العهد.

ثانياً: نمط الإجابة التدريجية في التوراة – دراسة تحليلية تاريخية لاهوتية

تمهيد نظري

يكشف التأمل في السرد التوراتي أن الاستجابة الإلهية لا تأتي دائماً على نحوٍ فوري مباشر، بل قد تتحقق عبر مسار تاريخي متدرّج يتضمن الدعاء، ثم الإعداد النفسي، فالتخطيط العملي، فالمواجهة، ثم تحقق الفرج في زمن لاحق. وهذا ما يمكن تسميته بـ«نمط الإجابة التدريجية»، حيث يصبح الزمن جزءاً من بنية الاستجابة ذاتها، لامجرد إطار خارجي لها (رياض،٢٠٠٥،ص ١٦٣-١٧٠) ويبرز هذا النمط بوضوح في أسفار ما بعد السبي البابلي، خصوصاً في سفري نحميا وعزرا، إذ لا يتحقق الإصلاح العمراني أو الديني بحدث إعجازي آني، بل عبر مشروع تاريخي متدرّج تتكامل فيه العناية الإلهية مع الجهد الإنساني.

(بسيط ، ٢٠٠٣، ص ٢١٠-٢١٩)

أولاً: نموذج نحميا – من الدعاء إلى الإنجاز

يبدأ سفر نحميا بمشهدٍ دعائي عميق: «جلست وبكيت ونحت أياماً وصمت وصليت أمام إله السماء» (نحميا ١:٤)، وهو ما يكشف أن نقطة الانطلاق كانت دعاءً خالصاً بطلب إعادة بناء أورشليم. غير أن الاستجابة لم تأتِ فوراً بإعادة السور، بل انتقلت إلى مرحلة التخطيط السياسي؛ إذ طلب نحميا إذناً من الملك أرتحشستا، وحصل على رسائل رسمية ومواد للبناء، ثم باشر التنفيذ وسط مقاومة شديدة، حتى اكتمل السور خلال اثنين وخمسين يوماً (نحميا،١٩٩٥، ١-٦) وتُظهر الدراسات التاريخية أن هذا الحدث وقع في منتصف القرن

الخامس قبل الميلاد، في ظل الإمبراطورية الفارسية، مما يعني أن إعادة البناء لم تكن مجرد فعل ديني، بل مشروعاً حضارياً لإعادة تشكيل الهوية القومية لبني إسرائيل بعد السبي.
(حنا، ١٩٩٨،ص ٢٩٨-٣٠٧)

ثانياً: نموذج عزرا – الإصلاح الديني المتدرّج

أما في سفر عزرا، فإن الدعاء لإحياء الشريعة لم يتحقق بإصلاح فوري شامل، بل مرّ بمراحل متعددة: قراءة علنية للشريعة، توبة جماعية، تنظيم الحياة الدينية، تثبيت العهد، ثم إصلاحات اجتماعية متدرجة. وهكذا تحققت الاستجابة الإلهية عبر مسار طويل أعاد بناء الضمير الديني للمجتمع (سفر عزرا،٢٠٠١،ص ٨٥-١١٢) ويؤكد الباحثون أن إصلاح عزرا شكّل تحولاً حضارياً عميقاً، إذ انتقلت الهوية من مجرد انتماء قومي إلى انتماء قائم على الشريعة والالتزام الديني (شبلي ،٢٠٠٢،ص ٢٤٠-٢٥٢).

ثالثاً: البعد اللاهوتي

لاهوتياً، يعكس النمط التدريجي رؤية ترى أن الله يعمل في التاريخ من خلال الوسائط البشرية، وأن العناية الإلهية لا تلغي دور الإنسان، بل توجهه وتباركه. فالاستجابة ليست انفصالاً عن القانون الطبيعي والاجتماعي، بل انسجام معه. وهذا يتفق مع مفهوم «العهد» في الفكر التوراتي، حيث ترتبط البركة بالطاعة والعمل الجماعي (رياض،١٧١،ص١٧٦) وهكذا يصبح الزمن مجالاً لتجلي الحكمة الإلهية، لا دليلاً على غيابها.

رابعاً: البعد التربوي

- من الناحية التربوية، يرسّخ هذا النمط عدة مبادئ:
- أن الدعاء بداية لمسار عملي، لا بديلاً عنه.
- أن الصبر شرط في تحقق الوعد.
- أن النهوض الحضاري يتطلب عملاً جماعياً منظّماً.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

فالزمن التدريجي يُعدّ مدرسةً إيمانية تُنمّي الصبر والمثابرة والالتزام بالشريعة قبل تحقق الفرج الكامل (فكري،٢٠٠٩،ص ١٣٩-١٤٧).

خامساً: البعد الحضاري والتاريخي

يكشف التحليل التاريخي أن مرحلة نحميا وعزرا كانت لحظة إعادة تأسيس حضاري بعد انهيار سياسي طويل. فالاستجابة الإلهية هنا لم تكن إنقاذاً آنياً، بل إعادة بناء للبنية الاجتماعية والسياسية والدينية. وهذا يدل على أن مفهوم الإجابة التدريجية مرتبط بإعادة تشكيل الأمة لا مجرد تخفيف أزمة مؤقتة (حنا ،ص٣١٠-٣١٨)

سادساً: المقارنة اللاهوتية الداخلية

عند مقارنة هذا النمط بالنمط الفوري في بعض نصوص التوراة (كالتدخلات المباشرة في الخروج)، يتبين أن الفعل الإلهي لا ينحصر في صورة واحدة. فحيث يكون الهدف تأسيس حضارة أو إصلاح مجتمع، يظهر النمط التدريجي أكثر انسجاماً مع منطق العهد. أما في مواطن الخطر الوجودي، فيبرز التدخل الفوري. وبذلك يتكامل النمطان ضمن رؤية لاهوتية واحدة ترى أن الحكمة الإلهية تختار شكل الاستجابة بحسب طبيعة المقصد التاريخي والروحي (امين،٢٠١١،ص ٩٠-١٠٤).

ثالثاً: نمط الإجابة المشروطة في التوراة – دراسة لاهوتية تربوية تحليلية

تمهيد نظري

يُعدّ مفهوم «الإجابة المشروطة» من المفاهيم المركزية في البنية اللاهوتية للتوراة، حيث لا يُفهم الدعاء بوصفه طلباً مجرداً يستوجب الاستجابة تلقائياً، بل يرتبط بتحقق شروط أخلاقية وروحية واجتماعية، أهمها: التوبة، والعودة إلى الله، والالتزام بالوصايا. فالعلاقة بين الإنسان والإله في الفكر التوراتي قائمة على منطق «العهد»، أي علاقة تعاقدية أخلاقية تُرتّب البركة على الطاعة، والعقوبة على العصيان (يوسف ،٢٠٠٥،ص ١٤٢-١٥٥)

ويظهر هذا النمط بوضوح في الأسفار التاريخية والنبوية، حيث تُربط الاستجابة الإلهية بإصلاح داخلي سابق، مما يجعل الدعاء جزءاً من عملية رجوع أخلاقي لا مجرد نداء في لحظة أزمة (عبد المسيح ، ٢٠٠٣ ،ص١٩٨-٢٠٥)

أولاً: الأساس اللاهوتي – مفهوم العهد والشرط

يقوم اللاهوت التوراتي على فكرة «العهد» الذي قطعه الله مع بني إسرائيل، وهو عهد يتضمن وعوداً إلهية مشروطة بالطاعة. ففي سفر التثنية يتكرر الربط بين السمع للوصايا وبين نزول البركة، وبين العصيان ونزول اللعنة. وهذا الإطار يجعل الدعاء نفسه خاضعاً لبنية العهد؛ فالإجابة ليست آلية، بل مشروطة بالعودة إلى مقتضيات العلاقة العهدية (الكتاب المقدس ،١٩٩٨ ،ص ٧٣-٩١). ومن هنا فإن الدعاء في التوراة ليس انفصالاً عن القانون الأخلاقي، بل هو امتداد له، إذ لا يُتصور تحقق الفرج دون إصلاح الخلل الذي أدى إلى الأزمة أصلاً.

ثانياً: نموذج نحميا – الاعتراف بالذنب شرطاً للفرج

في افتتاح سفر نحميا، لا يقتصر دعاؤه على طلب إعادة بناء أورشليم، بل يبدأ باعتراف جماعي بالخطايا: «أنا وبيت أبي قد أخطأنا... لم نحفظ الوصايا» (نحميا ١:٦-٧). وهنا يتجلى النمط المشروط بوضوح؛ فالرجوع إلى الله والاعتراف بالذنب يسبق طلب الاستجابة.

وقد فسّرت الدراسات اللاهوتية هذا الاعتراف بوصفه استعادةً لشروط العهد، أي أن الإصلاح العمراني (بناء السور) لم يكن ممكناً دون إصلاح أخلاقي سابق. فالبناء المادي مرتبط ببناء العلاقة مع الله (ملطي ،٢٠٠١،ص ٥٢-٦٣)

ثالثاً: نموذج إشعياء – العدالة الاجتماعية شرط للإجابة

في سفر إشعياء يظهر الشرط بصورة أوضح، حيث يقول النص: «حين تبسطون أيديكم أستر عينيّ عنكم... اغتسلوا، تنقّوا، اعزلوا شر أفعالكم» (إشعياء ١:١٥-١٦). هنا تُربط الإجابة الإلهية بإزالة الظلم وتحقيق العدالة الاجتماعية، مما يدل على أن الشرط ليس فردياً فقط، بل جماعياً مجتمعياً (اشعياء ،١٩٩٥) ويرى الباحثون أن هذا النص يمثل نقلة في الوعي الديني

من التركيز على الطقوس إلى التركيز على الأخلاق، مما يجعل الاستجابة الإلهية مرتبطة بتحقق العدالة والقيم الاجتماعية (شبلي ، ٢٠٠٢ ،ص ٢٢١-٢٣٠).

رابعاً: البعد التربوي

تربوياً، يُرسّخ هذا النمط مبدأ المسؤولية الأخلاقية قبل انتظار الفرج. فهو يعلّم الفرد والجماعة أن الدعاء لا يُغني عن إصلاح النفس والمجتمع، بل يشترطهما. كما يعزز مفهوم المحاسبة الذاتية، ويحوّل الدعاء إلى عملية مراجعة أخلاقية مستمرة (فكري ،٢٠٠٩،ص ١٢٠-١٣٢). وهكذا يصبح الدعاء أداة لإعادة تشكيل الضمير الجمعي، لا مجرد وسيلة للحصول على مطلب معين.

خامساً: البعد الحضاري والاجتماعي

حضارياً، ساهم هذا النمط في بناء مجتمع قائم على الالتزام الجماعي بالقانون الديني. فربط الفرج بالطاعة جعل الشريعة محور الهوية الجماعية بعد السبي البابلي، وأعاد تشكيل النظام الاجتماعي على أساس أخلاقي ديني. ومن هنا فإن الإجابة المشروطة كانت أداة لإعادة ضبط المجتمع لا مجرد وعد روحاني (حنا ،١٩٩٨، ص٣١٢-٣٢٠)

سادساً: نقد تحليلي

يرى بعض الباحثين المعاصرين أن ربط الاستجابة الإلهية بالشرط الأخلاقي قد يُفهم أحياناً بوصفه تبسيطاً للعلاقة بين الطاعة والنتيجة، إذ إن الواقع التاريخي يُظهر أن الطاعة لا تؤدي دائماً إلى رخاء مباشر. ومن هنا ظهرت نصوص أخرى في العهد القديم (مثل سفر أيوب) تُبرز تعقيد العلاقة بين العمل والنتيجة، مما يدل على أن النمط المشروط ليس مطلقاً في جميع الأسفار، بل هو مهيمن ضمن إطار العهد العام (رياض ،ص ١٨٩-١٩٧)

وهذا يفتح أفقاً لاهوتياً أوسع يرى أن الشرط الأخلاقي قاعدة عامة، لكنه لا يُلغي حكمة إلهية قد تتجاوز الفهم البشري المباشر.

خلاصة تحليلية

يمكن القول إن نمط الإجابة المشروطة في التوراة يعكس رؤية لاهوتية قائمة على العهد والمسؤولية الأخلاقية، ويؤسس لتربية دينية تجعل الدعاء جزءاً من عملية إصلاح شامل. فهو نمط يدمج بين الروحي والاجتماعي، وبين الفردي والجماعي، ويحوّل الاستجابة الإلهية إلى ثمرة التزام قيمي سابق، لا مجرد استجابة لحظة انفعال عابر.

رابعاً: يُعدّ نمط الإجابة المؤجّلة من أبرز أنماط الدعاء في أدب المزامير، حيث يمتدّ زمن الدعاء إلى ما هو أبعد من اللحظة الزمنية inmediata، ويُستجاب له في توقيت يتوافق مع الخطة الإلهية الشاملة. يظهر هذا النمط بوضوح في المزامير التي تُعبّر عن شكوى أو صراخ روحاني طويل، يتبعه رجاء في وعد الله، دون تحقق الإجابة فورياً.

(فكري ،٢٠٠٣،ص ١١٢-١١٨)

يُظهر التحليل اللاهوتي أن هذا النمط ليس مجرد تأخير في الاستجابة، بل هو مدخل تربوي يُعلّم المؤمن الصبر والثقة في حكمة الله، ويؤكد أن الزمن الإلهي يتجاوز الزمن البشري المحدود (حبيب ،٢٠١١،ص ١٤٣-١٥٠).

أولاً: دعاء داود كنموذج للإجابة المؤجّلة

في سلسلة من المزامير المنسوبة إلى داود (مثل المزامير ١٣ و٢٢ و٢٧)، يبدأ النص بالدعاء والاستغاثة:

"إلى متى يا رب...؟!" ثم يتحول تدريجياً إلى إعلان ثقة بالله في وسط الشدائد. هذا الانتقال من مشاعر القلق إلى الثقة الراسخة لا يُعبر عن استجابة فورية، بل عن نمو روحي داخلي ينتظر تحقيق الوعد الإلهي في اللحظة المناسبة (أبو الخير ٢٠٠٩،ص ٥٤-٦٠). يُشير عدد من الدارسين العرب إلى أن النصوص الداعية لنجدة داود لا تنتهي دائماً بتحقيق الاستجابة داخل الإطار النصي نفسه، وإنما تظهر الاستجابة لاحقاً في تاريخ الملك وسيرته، مثل استقرار الملك وتأسيس نظام حكم أكثر رسوخاً (ملطي ، ١٩٩٠،ص ٧٨-٨٥).

مثال: المزمور ٢٢ يظهر تدرّجاً من الألم والصراخ إلى إعلان الثقة، لكنه لا يسجل لحظة استجابة مباشرة؛ بل يبقى الأمل معلقاً حتى تتضح الأحداث التاريخية لاحقاً.

ثانياً: انتظار شعب إسرائيل في زمن الأسر

في مزامير الأسر (مثل المزامير ٧٤ و٧٩ و١٣٧)، يظهر صوت الجماعة الكورالي محتاجاً إلى رحمة الله وإعادة بناء الهيكل. لقد ظلّت هذه النصوص تُرتّل كدعوات طويلة لم تتحقق الإجابة فوراً، بل تمت الاستجابة ضمن مسار تاريخي طويل تضمن تحريراً وعودة وشهادة حضارية (رياض ،٢٠١٦،ص ٢٠١-٢١٥). هنا لا يكون التأخير عبثياً، بل مجدياً تربوياً واجتماعياً، إذ يُعلّم الشعب الصبر والرجاء الجماعي، ويكشف أن الاستجابة الإلهية قد تكون جزءاً من تحقيق خطة تاريخية أوسع (فكري ،ص ١١٨-١٢٠).

البعد اللاهوتي–التربوي

الفرق بين الزمن البشري والزمن الإلهي: تُبرز النصوص المزموريّة أن زمن الله لا يقاس بزمن الإنسان؛ فالله لا يعجّل الإجابة حين يشاء الإنسان ذلك، بل حين يتفق مع محيط التاريخ وخطة الله الشاملة (حبيب، ص ١٤٧-١٤٩).

الانتظار كقيمة تربوية:

الانتظار الطويل في المزامير يعمل كـ "فضاء تربوي" يدعو المؤمن إلى التثبيت على الإيمان، ويتحوّل إلى بناء روحي داخلي يتخطّى مجرد طلب المنفعة الفورية (أبو الخير،ص ٥٦-٦٠).

البعد الجماعي والتاريخي للإجابة:

الإجابة المؤجلة غالباً ما تمتد لتعبر عن تحوّل في مسار التاريخ لا عن حلّ شخصي لحظة الطلب، كما هو واضح لدى شعب إسرائيل في سياق العودة من السبي.

دراسات سابقة عربية

- القس أنطونيوس فكري يرى أن المزامير تُظهر هيكلية زمنية غير خطية في الدعاء والاستجابة، حيث تظهر علامات الثقة قبل تحقق الحدث الفعلي.

(فكري، ٢٠٠٣،ص ١١٢-١١٨)

- الدكتور عبد المسيح بسيط أبو الخير يؤكد أن نصوص مزامير داود توظّف شكوى النداء كـ "أرض روحية" تُهيّئ المؤمن للثقة المستقرة، وليست نصوصاً تقدّم استجابة فورية فحسب.

- الدكتور يوسف رياض يحلل مزامير الأسر ويظهر كيف أن زمن الإجابة يمتد ليشمل التحرير وإعادة البناء كتعزيز جماعي للهوية، وليس مجرد خروج من موقفٍ ضيق.

(رياض ،٢٠١٦،ص ٢٠١-٢١٥)

- الدكتور سامي حبيب يبيّن أن مقاربة الزمن في النصوص المزموريّة تحمل معنى لاهوتياً يتخطّى الفعل اللحظي نحو تكوّن الشخصية الروحية في ضوء وعد الله.

(حبيب، ٢٠١١، ص١٤٣-١٥٠)

٥. المقارنة العامة بين الأنماط الأربعة في التوراة الأنماط الأربعة تعمل ضمن منظومة واحدة، مع وظائف تربوية وأخلاقية واضحة:

أولاً: الإطار العام

تُظهر النصوص التوراتية أن الدعاء يُستجاب وفق أربعة أنماط زمنية، تعمل ضمن منظومة متكاملة، كل نمط له وظيفة تربوية وأخلاقية واضحة. الأنماط هي:

- النمط الفوري: استجابة مباشرة عند الحاجة الملحّة.
- النمط التدريجي: استجابة مرتبطة بمسار نمو روحاني طويل.
- النمط المشروط: استجابة مرتبطة بالالتزام الأخلاقي والتوبة.
- النمط المؤجّل: استجابة لأجل حكمة إلهية وتربوية أوسع.

ثانياً: تحليل الأنماط الأربعة

١. النمط الفوري: الاستجابة في حالات الاضطرار الملحّ

الخصائص: يظهر هذا النمط عند مواجهة الفرد أو الجماعة أزمة حادة تتطلب تدخلًا عاجلًا من الله.

الأمثلة التوراتية: دعاء حنة من أجل مولود، إذ استجاب الله مباشرة (صموئيل الأول ١:٢٧-٢٨).

البعد التربوي–اللاهوتي: يبرز قدرة الله الفاعلة في اللحظة التاريخية، ويقوي الإيمان الجماعي، ويعلم أن الله حاضر في الأزمات الحقيقية (توراة صموئيل الأول ، ٢٠١٥، ص٢٧–٢٨).

٢. النمط التدريجي: مسار نمو روحاني

الخصائص: يتمثل في أن استجابة الدعاء لا تكون مباشرة، بل تأتي تدريجيًا ضمن مسار حياة طويل.

الأمثلة التوراتية: رحلة إبراهيم مع وعد الله بالذرية (تكوين ١٢:١–٧) أو حياة موسى خلال صحراء سيناء (خروج ١٤–١٩).

البعد التربوي–اللاهوتي: يمثل تدريبًا عمليًا للصبر والثقة بالله، ويعلّم أن التدخل الإلهي مرتبط بتطور الروحانية والسلوك الأخلاقي على مدى الزمن (توراة تكوين ،٢٠١٠، الآيات ١–٧).

٣. النمط المشروط: الالتزام الأخلاقي والتوبة

الخصائص: يرتبط الدعاء هنا بتحقيق شروط أخلاقية، فردية أو جماعية.

الأمثلة التوراتية: دعاء نحميا للشعب بعد التوبة والاعتراف بالخطايا (نحميا ١:٥–١١).

البعد التربوي–اللاهوتي: يشدد على مسؤولية الفرد والجماعة، ويؤكد أن استجابة الدعاء تتطلب التزامًا أخلاقيًا واجتماعيًا. هذا النمط يعكس دور الدعاء في إصلاح العلاقات مع الله ومع المجتمع (توراة نحميا ، ٢٠١٢،ص ٥–١١).

٤. النمط المؤجّل: الحكمة الإلهية والتربية الأخلاقية

الخصائص: يُؤخر الله الإجابة عن الدعاء لحكمة تربوية أو اجتماعية.

الأمثلة التوراتية: تجربة يعقوب قبل مواجهة عيسو (تكوين ٣٢:٢٤–٣٢)، حيث يتم الانتظار لتحقيق مصلحة أكبر على مستوى العلاقات الإنسانية والتاريخية.

البعد التربوي–اللاهوتي: يعلّم الصبر والانتظار، ويربط الزمن الإلهي بالتاريخ الاجتماعي، وليس فقط باللحظة الفردية. هذا النمط يُظهر حكمة الله في ترتيب الأحداث لتحقيق الخير الأعظم (توراه تكوين ، ٢٠١٥، الآيات ٢٤– ٣٢).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

الخلاصة اتضحت من دراسة النصوص التوراتية أن زمن الإجابة في الدعاء يحمل وظيفة تربوية وأخلاقية واجتماعية، بحيث:

- النمط الفوري: يبرز قدرة الله وحضوره الملحّ، ويقوي الإيمان الجماعي.
- النمط التدريجي: يعزز الصبر والتدريب الروحي، ويربط الاستجابة بالتطور الأخلاقي.
- النمط المشروط: يربط الاستجابة بالالتزام الأخلاقي والتوبة الفردية والجماعية.
- النمط المؤجّل: يعلّم الصبر والانتظار ويربط الزمن الإلهي بالحكمة الاجتماعية والتاريخية.

بذلك، يصبح الزمن في الدعاء أداة إلهية لتربية الإنسان أخلاقيًا وروحانيًا واجتماعيًا، مع تباين الوظائف بين الأنماط الأربعة بما يتوافق مع طبيعة الحاجة والحدث.

المبحث الثالث: التحليل المقارن بين القرآن والتوراة في زمن الإجابة

التحليل المقارن بين القرآن والتوراة في زمن الإجابة

١. الإجابة الفورية: القرآن مقابل التوراة

تمهيد منهجي: لا يمكن إجراء مقارنة علمية بين القرآن الكريم والتوراة في مسألة زمن الإجابة الإلهية للدعاء دون الانطلاق من منطلقين:

الأول: طبيعة التصور العقدي لكل نص.

الثاني: الوظيفة التربوية التي يؤديها الدعاء داخل البناء الديني.

فالقرآن الكريم ينطلق من مركزية التوحيد المطلق، حيث العلاقة بين العبد والله علاقة وجودية مباشرة لاتتوسطها بنية قومية أو عهد خاص، بينما تُبنى التوراة ضمن إطار العهد بين الله وبني إسرائيل، مما يجعل الدعاء جزءًا من علاقة تعاقدية–تشريعية أكثر من كونه تجربة روحية فردية خالصة (المسيري، ١٩٩٩،ص ٣٧٩).

أولًا: الإجابة الفورية بين الاضطرار الفردي والإنقاذ القومي

في القرآن الكريم، ترتبط الإجابة الفورية بحالة الاضطرار الوجودي، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل: ٦٢). يفسّر العلامة الطباطبائي هذه الآية بأن الاضطرار يرفع الحجب النفسية فيتحقق التوجّه الخالص، فتكون الإجابة انعكاسًا لسنّة إلهية لا

استثناءً طارئًا (الطباطبائي، ١٩٩٧،ص ٣٧٩). وهنا يظهر البعد التربوي: الدعاء الصادق نتيجة صفاء داخلي، وليس مجرد تلفّظ لفظي. في المقابل، تُظهر التوراة نمط الإجابة الفورية غالبًا في سياق الإنقاذ الجماعي، كما في قصة خروج بني إسرائيل من مصر حيث استجيب لصرخاتهم تحت العبودية (الخروج ٣:٧–٨).الاستجابة هنا مرتبطة بالعهد الإلهي مع الشعب المختار، أي أنها تتأسس على هوية جماعية لا على تجربة فردية بحتة.

(ملطي ، ٢٠٠١ص،٤٢)

إذن: القرآن يجعل الفورية ثمرة الاضطرار الإنساني بينما التوراة تجعلها تجليًا للعهد القومي.

ثانيًا: الإجابة المشروطة بين السنينة الأخلاقية والعهد التشريعي: يقرّر القرآن مبدأ المشروطية ضمن قانون أخلاقي عام: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠). لكن المفسرين يبيّنون أن الاستجابة مرتبطة بحقائق باطنية كالإخلاص، وعدم أكل الحرام، والاستقامة (مكارم الشيرازي ،٢٠٠٥،ص ٣٣١). فالمشروطية هنا سننيه–أخلاقية عامة تشمل كل إنسان. أما في التوراة، فالمشروطية ترتبط بطاعة الشريعة الموسوية، كما في سفر التثنية، حيث تُربط البركات بالطاعة واللعنات بالعصيان. الدعاء إذن جزء من منظومة الثواب والعقاب التشريعي.

(شلبي، ٢٠٠٣،ص ٢١٤)

الفارق الجوهري:

في القرآن ← الشرط أخلاقي–وجودي.

في التوراة ← الشرط تشريعي–عهدي.

ثالثًا: الإجابة المؤجّلة بين الحكمة الغيبية والامتحان التاريخي

يقدّم القرآن التأجيل بوصفه جزءًا من الحكمة الإلهية، لاعلامة رفض، كما في قصة زكريا عليه السلام حيث تأخرت الاستجابة حتى تحققت المصلحة الإلهية (مريم: ٤–١١). التأجيل هنا يرتبط بمفهوم الابتلاء والتربية الروحية (السيد محمد باقر الحكيم ،١٩٨٠ص،٢١٢). في التوراة، يظهر التأجيل غالبًا في سياق العقاب التاريخي أو التيه، كما في تيه بني إسرائيل

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

أربعين سنة (سفر العدد ١٤). التأجيل هنا وظيفة تأديبية جماعية أكثر منه ترقية روحية فردية. (سليمان، ١٩٩٨ص،١٣٣).

إذن: القرآن يؤطّر التأجيل ضمن فلسفة الابتلاء الفردي التوراة تؤطره ضمن مسار تاريخي عقابي– تعليمي للشعب.

رابعًا: البنية اللاهوتية الحاكمة للزمن عند التحليل العميق، يظهر أن مفهوم الزمن نفسه يختلف في النصين:

- القرآن يعامل الزمن كحيّز تربوي تتحقق فيه سنن الله العامة.
- التوراة تتعامل مع الزمن كتاريخ عهد خاص يتدخل فيه الله لصالح جماعة محددة.
- وهذا يعكس اختلاف الرؤية الكونية:
- الرؤية القرآنية كونية–إنسانية شاملة،
- بينما الرؤية التوراتية تاريخية–قومية في غالب نصوصها (عمارة، ٢٠٠٧،ص٩٧).

خامسًا: المقارنة التركيبية النهائية

القرآن الكريم	التوراة	عنصر المقارنة
فردية–كونية	جماعية–عهدية	مركزية الدعاء
أخلاقي–سنني	تشريعي–قومي	شرط الإجابة
اضطرار وجودي	إنقاذ قومي	الفورية
حكمة وابتلاء	عقاب تاريخي	التأجيل
تزكية النفس	حفظ هوية الجماعة	الوظيفة التربوية

الخلاصة العامة: تكشف المقارنة أن الاختلاف لا يكمن في وقوع الإجابة أو تأخرها، بل في المنظومة اللاهوتية التي تفسرها. فالقرآن يربط زمن الإجابة بسنن إلهية شاملة تتعلق بصفاء النفس والحكمة الربانية، بينما تربط التوراة زمن الإجابة بسياق العهد التاريخي بين الله وبني إسرائيل.

ومن هنا يتبيّن أن: القرآن يؤسس لفلسفة دعاء كونية تتجاوز العرق والجماعة، في حين تحافظ التوراة على إطارها القومي التشريعي بوصفه المرجعية الأساسية لفهم الاستجابة. وهذا الفارق ليس تفصيلاً جزئيًا، بل يمثل اختلافًا عميقًا في الرؤية العقدية والتربوية لكلا النصين.

٢. الإجابة التدريجية: القرآن الكريم مقابل التوراة

قراءة لاهوتية–تربوية مقارنة: تمثّل الإجابة التدريجية أحد الأنماط السنينة في علاقة الدعاء بالفعل الإلهي، حيث لا يتحقق المطلوب فوراً، بل عبر مسار زمني تتكامل فيه العوامل النفسية أو العملية. ويكشف التحليل المقارن بين القرآن الكريم والتوراة عن اختلاف في زاوية التفعيل التربوي، مع وحدة في الغاية الأخلاقية.

أولاً: الإجابة التدريجية في القرآن الكريم – مسار تربوي داخلي يُظهر القرآن الكريم أن التأخر المرحلي في تحقق الدعاء ليس تعطيلًا، بل بناءً للنفس المؤمنة عبر مراحل الصبر والتزكية. ففي قصة يعقوب عليه السلام، استمر الانتظار سنوات طويلة قبل تحقق الفرج: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف: ١٨) (يوسف،الاية ١٨) فالآية تشير إلى أن الفرج لم يكن فورياً، بل سبقته عملية إعداد نفسي وروحي. ويؤكد الشيخ الطوسي في التبيان في تفسير القرآن أن سنن الله في الإجابة قد تتدرج تبعاً لمصلحة العبد، وأن التأخير قد يكون أبلغ في التربية من التعجيل (الطوسي،٢٠٠٠،ص١٢٠). كما أن قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥) (الأنبياء، اية: ٣٥) يدل على أن الامتحان جزء من البناء الإيماني، وأن الفرج قد يمر بمراحل اختبار تكشف صدق التوكل والثبات. يرى الطباطبائي في الميزان في تفسير القرآن أن سنة الابتلاء المرتبطة بالدعاء تؤدي وظيفة تهذيب الإرادة الإنسانية، بحيث يتحول الانتظار من حالة سلبية إلى طاقة روحية إيجابية (الطباطبائي،١٩٩٧،ص١٧٥).

الاستنتاج الجزئي: الإجابة التدريجية في القرآن ذات طابع باطني–تزكو؛ فهي تصقل النفس، وتبني اليقين، وتحوّل الزمن إلى أداة تربية.

ثانياً: الإجابة التدريجية في التوراة – مسار عملي تاريخي في التوراة يظهر البعد التدريجي غالباً ضمن مسار عملي متكامل. ففي سفر نحميا، نرى تسلسلاً واضحاً:

(الدعاء ← التخطيط ← الاستئذان السياسي ← العمل الميداني ← تحقق الإصلاح) (الكتاب المقدس ،سفر نحميا) فقد صام نحميا ودعا الله أولاً (نحميا ١: ٤)، ثم وضع خطة، ثم طلب الإذن من الملك، ثم بدأ إعادة بناء أورشليم (القمص تادرس يعقوب ملطي ،١٩٩٩، ٣٥-٤٢).هنا لا تكون الإجابة مجرد تحوّل داخلي، بل مسار تاريخي واقعي يُشرك الإنسان في تنفيذ الخطة الإلهية. ويشير عدد من الباحثين العرب في دراسات العهد القديم إلى أن التدريج في الأسفار التاريخية يعكس فهماً لاهوتياً يقوم على "الشراكة بين الفعل الإلهي والالتزام البشري" (حبيب ،٢٠٠٥،ص٢١٤).

الاستنتاج الجزئي: الإجابة التدريجية في التوراة ذات طابع عملي–تاريخي؛ فهي تُظهر الدعاء بوصفه بداية لمسار التزام طويل يتجسد في الواقع الاجتماعي والسياسي.

التحليل اللاهوتي– التربوي المقارن

القرآن الكريم	التوراة	البعد
داخلي نفسي	عملي تاريخي	طبيعة التدريج
تزكية النفس وبناء اليقين	تدريب على الالتزام والعمل	الوظيفة التربوية
القلب والإرادة	الفعل الجماعي والمشروع الإصلاحي	مركز الثقل
تربية الصبر وتحمل الامتحان	تربية الصبر وتحمل الامتحان	المشترك

يتضح أن القرآن يركز على التكوين الروحي الداخلي، بينما تبرز التوراة المسار التنفيذي الخارجي. ومع ذلك، يشترك النصان في تأكيد أن الدعاء ليس مجرد طلب آني، بل عملية تربوية ممتدة زمنياً.

الخلاصة العلمية: الإجابة التدريجية في القرآن تمثل سنّة تزكوية غايتها صقل الإرادة المؤمنة. في التوراة تمثل نموذجاً تاريخياً يقوم على العمل المرحلي. كلا المنهجين يعكس تصوراً لاهوتياً يرى الزمن أداة تربية لا عائقاً أمام الاستجابة. البعد المشترك هو ترسيخ قيمة الصبر كركيزة في التجربة الدينية.

٣. الإجابة المشروطة: دراسة مقارنة بين القرآن الكريم والتوراة.

أولاً: الإجابة المشروطة في القرآن الكريم – البعد الأخلاقي الداخلي.

يتضح من خلال النص القرآني أنّ الإجابة الإلهية لاتتحقق على نحو آلي، بل ترتبط بمنظومة شرطية أخلاقية وروحية، قوامها الإخلاص، والتوبة، وردّ المظالم، وتزكية النفس. فالدعاء في الرؤية القرآنية ليس مجرد نداء لفظي، بل هو فعل وجودي يرتبط بحقيقة العبودية والتحول الداخلي. ويُفهم هذا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، حيث ربط التغيير الإلهي بالتغيير النفسي– الأخلاقي (الطباطبائي،١٤١٧،ص٣٢٣). ويؤكد الشيخ الطبرسي في تفسيره أن من شروط استجابة الدعاء "الإخلاص في النية، والانقطاع إلى الله، والتوبة من المعاصي، وردّ الحقوق إلى أهلها"، لأن المعصية تُعدّ حجاباً مانعاً من قبول الدعاء (الطبرسي،٢٠٠٦،ص٢٨٩). فالإجابة المشروطة هنا تتأسس على إصلاح الباطن قبل انتظار تحقق الظاهر، وهو ما يجعل البعد الفردي في القرآن مركزياً. كما يظهر هذا المعنى في دعاء إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، فطلبه لم يكن مادياً خالصاً، بل مقروناً بالالتزام بالطاعة والاستقامة (الطباطبائي،١٤١٧،ص٤١). وكذلك في قصة بني إسرائيل حين ربط القرآن نجاتهم وتأييدهم بالوفاء بالعهد والالتزام بالمنهج الإلهي. (الشيرازي، ١٤٢٦،ص٣٠٧)

التحليل اللاهوتي– التربوي في القرآن:

يُركز القرآن على أن شرط الإجابة يبدأ من الداخل؛ أي من تزكية النفس، وإصلاح الضمير، وتصحيح العلاقة بالله. فالمشروطية هنا ذات بعد فردي روحي، تؤسس لمسؤولية ذاتية عميقة، تجعل الإنسان شريكاً في صناعة قدره من خلال إصلاح نفسه.

ثانياً: الإجابة المشروطة في التوراة – البعد الجماعي والاجتماعي

أما في النص التوراتي، فتظهر المشروطية ضمن إطار جماعي–عَهدي، يرتبط بالعودة إلى الله والالتزام بالوصايا والشريعة. فالدعاء يُستجاب عندما تعود الأمة إلى العهد، وتعترف بخطئها، وتلتزم بالإصلاح الأخلاقي والاجتماعي. ويُعدّ دعاء نحميا نموذجاً واضحاً لذلك؛ إذ يقرن طلبه لإعادة بناء أورشليم بالاعتراف بخطايا الشعب، قائلاً: "قد أخطأنا إليك"، ثم يُجدّد الالتزام بالوصايا الإلهية قبل طلب العون (نحميا، ١٩٩٣، ٤–١١). فالإجابة هنا ليست

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

مسألة فردية فحسب، بل ترتبط بإصلاح البنية الجماعية وإعادة الانضباط للشريعة. كما يؤكد سفر إشعياء أن الدعاء لا يُقبل ما لم يقترن بالعدل الاجتماعي ورفع الظلم، حيث ينتقد النبي الصوم الشكلي الذي يخلو من تحرير المظلومين وإطعام الجائعين (الكتاب المقدس، سفراشعياء،١٩٩٣، ٦-٩). فالمشروطية التوراتية تمتد إلى المجال الاجتماعي، وتربط العبادة بالعدالة.

التحليل اللاهوتي– التربوي في التوراة:

يتجه التركيز إلى البعد الجماعي؛ فقبول الدعاء مشروط بعودة الأمة إلى العهد، وإقامة العدل، وتصحيح الانحرافات الاجتماعية. المسؤولية هنا مزدوجة: فردية وجماعية، لكن الغلبة فيها للبُعد الاجتماعي–القانوني.

ثالثاً: المقارنة العامة – وحدة المبدأ واختلاف زاوية التركيز: من خلال التحليل المقارن يتبين أن المبدأ المشترك بين القرآن والتوراة يتمثل في أن الدعاء لاينفصل عن التزكية والإصلاح؛ فالإجابة ليست فعلاً تعسفياً، بل مرتبطة بقانون أخلاقي. غير أن زاوية التركيز تختلف:

– القرآن يجعل الشرط منطلقاً من إصلاح الداخل (تزكية النفس، صدق النية، التوبة).

– التوراة تُبرز الإصلاح الجماعي والالتزام بالشريعة والعدل الاجتماعي.

فالقرآن يعمّق البعد الروحي الفردي، بينما التوراة توسّع البعد القانوني–الاجتماعي، وكلاهما يربط الاستجابة الإلهية بمنظومة أخلاقية واضحة، تُعيد تعريف الدعاء باعتباره مساراً إصلاحياً لا مجرد طلب.

٤. الإجابة المؤجَّلة: دراسة مقارنة بين القرآن الكريم والتوراة

أولاً: الإجابة المؤجَّلة في القرآن الكريم – الحكمة الإلهية وتهذيب الباطن

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

تُبرز الرؤية القرآنية أن تأخّر الإجابة لا يعني الرفض، بل قد يكون مظهراً من مظاهر الحكمة الإلهية التي تتجاوز إدراك الإنسان المحدود. فالقرآن يربط الزمن الإلهي بمفهوم الابتلاء والتهذيب، بحيث يتحوّل الانتظار نفسه إلى تجربة تربوية تُنضج الإيمان وتعمّق اليقين. قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وهو أصل قرآني يؤسس لفكرة أن التأخير قد ينطوي على خيرٍ غير منظور (طباطبائي،١٤١٧ص،٣٤٢).وقد أشار السيد أبو القاسم الخوئي إلى أن الدعاء قد لايتحقق بصورته الظاهرة فوراً، لكنه لا يضيع، بل يتحول أثره إمّا إلى رفع درجات الداعي، أو دفع بلاء لم يكن يعلمه، أو تهيئة ظرف أنسب للإجابة (الخوئي، ١٤١٨،ص٢٦٠). فالتأجيل في هذا السياق ليس تعطيلًا، بل إعادة توجيه للأثر وفق مقتضى الحكمة. ويُعدّ دعاء زكريا عليه السلام مثالاً قرآنياً واضحاً؛ فقد طال انتظاره للولد حتى بلغ الكِبَر، ومع ذلك بقي الدعاء ملازماً لحاله الروحي، إلى أن تحققت الإجابة في اللحظة التي اقتضتها الحكمة الإلهية (الطبرسي،٢٠٠٦،ص٤٥).

التحليل اللاهوتي–التربوي في القرآن: التأجيل يُرسّخ قيمة الصبر، ويُعيد توجيه الإنسان من طلب النتيجة إلى تعميق العلاقة بالله. فهو بعدٌ روحاني داخلي، يجعل الزمن نفسه أداة تربية وإعداد.

ثانياً: الإجابة المؤجَّلة في التوراة – البعد التاريخي والجماعي: في النص التوراتي، يتخذ التأجيل طابعاً تاريخياً ممتداً، حيث يرتبط زمن الإجابة بمسار الأمة عبر أجيال. فالدعاء لا يُقاس بلحظة فردية، بل يُفهم ضمن خطة إلهية شاملة تتحقق عبر الزمن. ويظهر ذلك جلياً في المزامير، حيث تتكرر صيغة الشكوى والانتظار الطويل للخلاص، مع التأكيد على الثقة بوعد الله رغم بطء تحقق الحدث. فزمن الإجابة يصبح اختباراً للإيمان الجماعي، لا مجرد تجربة فردية (سفر المزامير،١٩٩٣،ص١٣). كما يتجلى التأجيل في انتظار بني إسرائيل الخلاص من الأسر، سواء في مصر أو في بابل، حيث طال أمد المعاناة قبل تحقق الوعد الإلهي بالعودة (سفر الخروج،١٩٩٣، ١–٣). إنّ هذا الامتداد الزمني يمنح الحدث بُعداً تاريخياً، ويجعل الصبر قيمة قومية لا شخصية فحسب.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

التحليل اللاهوتي–التربوي في التوراة:

الإجابة المؤجلة هنا ذات طابع جماعي–تاريخي؛ فالأمة تُربّى عبر الزمن، وتُختبر في قدرتها على الحفاظ على العهد رغم تأخر الوعد. الزمن عنصر فاعل في صناعة الهوية الدينية للشعب.

ثالثاً: المقارنة العامة – وحدة التربية واختلاف المجال: يتبين من الدراسة أن القرآن والتوراة يلتقيان في تأكيدهما أن التأخير ليس نفياً للاستجابة، بل أسلوباً إلهياً في التربية. فكلا النصين يعلّمان الصبر وانتظار الحكمة الإلهية.

غير أن الاختلاف يكمن في مجال التركيز:

– القرآن يوجّه التأجيل نحو تعميق البعد الروحي الداخلي، حيث يتحول الانتظار إلى تزكية للنفس ورفعة في المقام.

– التوراة تُبرز التأجيل في سياق تاريخي جماعي، حيث يصبح الزمن مسرحاً لتحقيق الوعد الإلهي عبر مسار الأمة.

ومن هنا يمكن القول إنّ الإجابة المؤجلة تمثل ذروة النضج اللاهوتي في النصين؛ لأنها تُخرج الدعاء من دائرة اللحظة إلى أفق الحكمة، وتحوّل الانتظار من ضعفٍ إلى عبادة.

٥. الخلاصة المقارنة التحليل المقارن يظهر أنّ: النمط– القرآن– التوراة –البعد التربوي– اللاهوتي.

ويمكن تلخيص البنية المقارنة على النحو الآتي:

البعد التربوي–اللاهوتي	القرآن الكريم	التوراة	النمط
تعزيز اليقين الفردي وترسيخ التفاعل الاجتماعي	تركيز داخلي نفسي، اضطرار فردي صادق	اضطرار جماعي أو لحظة تاريخية حرجة	الفوري
تدريب الصبر والمثابرة الواقعية	صقل نفسي وروحي عبر التدرج	مسار عملي بخطوات ملموسة تاريخياً	التدريجي
تعليم المسؤولية الفردية والجماعية	تزكية النفس، التوبة، تصحيح الداخل	الالتزام الجماعي بالوصايا والعدل	المشروط

تعليم الصبر وربط الزمن بالحكمة الإلهية	اختبار ثقة الفرد وتعميق التوكل	تخطيط طويل الأمد ضمن حكمة تاريخية	المؤجَّل

يُظهر هذا الجدول أن القرآن يميل إلى إبراز البعد النفسي–الروحي الداخلي، حيث يتحول الدعاء إلى أداة تهذيب للنفس وبناء للوعي الفردي. فالإجابة، سواء كانت فورية أم مؤجلة، تُفهم ضمن سياق علاقة العبد بربه، وحركة القلب نحو التزكية (الخوئي ،١٤١٨،ص٢٦٠).

أما في التوراة، فتبرز الأبعاد التاريخية والاجتماعية بصورة أوضح؛ إذ يرتبط تحقق الإجابة غالباً بحركة الجماعة، وبالمسار العام للأمة في ضوء العهد والوصايا. فالزمن يمتد أحياناً عبر أجيال، ويصبح جزءاً من الخطة الإلهية الكبرى في صياغة الهوية الدينية للشعب (الكتاب المقدس ،١٩٩٣).

المصادر والمراجع

١. أمين، هلال) . (٢٠١١). الدعاء في الكتاب المقدس: دراسة موضوعية .دار النشر اللاهوتي.
٢. بسيط، عبد المسيح..(٢٠٠٣). مدخل إلى العهد القديم (ط. ٢). دار الثقافة.
٣. بسيط، عبد المسيح.(٢٠٠٩) .مزامير داود النبي: دراسة تحليلية (ط. ٢). مكتبة المحبة.
٤. حبيب، سامي.(٢٠٠٥) مدخل إلى العهد القديم (ط. ٢). دار الثقافة.
٥. حبيب، سامي. (٢٠١١) .اللاهوت التاريخي في العهد القديم (ط. ١). دار الثقافة.
٦. حسن، محمد خليفة.(٢٠٠٢) .دراسات في العهد القديم .دار الثقافة العربية.
٧. الحكيم، محمد باقر.(١٩٨٠) .علوم القرآن (ط. ٢). دار التعارف.
٨. حنا، سامي.(١٩٩٨) .تاريخ إسرائيل القديم .دار المشرق.
٩. الخوئي، أبو القاسم.(١٩٩٨) .البيان في تفسير القرآن .مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي.
١٠. رياض، يوسف.(٢٠٠٥) .اللاهوت الكتابي للعهد القديم .دار الثقافة.
١١. رياض، يوسف.(٢٠١٦) .أدب الشكوى في المزامير (ط. ١). دار الكتاب المقدس.

١٢. سليمان، فاضل.(١٩٩٨) .مقدمة في العهد القديم (ط. ١). دار الثقافة.
١٣. شلبي، أحمد.(٢٠٠٣) .مقارنة الأديان: اليهودية (ط. ٨). مكتبة النهضة المصرية.
١٤. الشيرازي، ناصر مكارم.(٢٠٠٥) .الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (ط. ١). دار إحياء التراث العربي.
١٥. صليب، جورج.(١٩٩٦) .العهد في الفكر الكتابي .دار المشرق.
١٦. الطباطبائي، محمد حسين.(١٩٩٧) .الميزان في تفسير القرآن (ط. ١). مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٧. الطبرسي، الفضل بن الحسن.(١٩٩٥) .مجمع البيان في تفسير القرآن (ط. ١). مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٨. الطوسي، محمد بن الحسن.(١٩٩٠) .التبيان في تفسير القرآن (ط. ١). دار إحياء التراث العربي.
١٩. عمارة، محمد.(٢٠٠٧) .دراسات في أهل الكتاب (ط. ١). دار السلام.
٢٠. فكري، أنطونيوس.(٢٠٠٣) .تفسير سفر المزامير: دراسة تفسيرية روحية (ط. ١). كنيسة مارمرقس.
٢١. فكري، أنطونيوس.(٢٠٠٩) .دراسة في الفكر الروحي للعهد القديم .دار القديس مارمرقس.
٢٢. الفيض الكاشاني، محمد محسن.(١٩٩٥) .تفسير الصافي (ط. ٢). مكتبة الصدر.
٢٣. الفيض الكاشاني، محمد محسن.(١٩٩٧) .المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء (ط. ١). مؤسسة النشر الإسلامي.
٢٤. الكليني، محمد بن يعقوب.(١٩٨٧) .الكافي (ط. ٤). دار الكتب الإسلامية.
٢٥. المجلسي، محمد باقر.(١٩٨٣) .بحار الأنوار (ط. ٢). مؤسسة الوفاء.
٢٦. المسيري، عبد الوهاب.(١٩٩٩) .موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (ط. ١). دار الشروق.

٢٧. ملطي، تادرس يعقوب.(١٩٩٠) .تفسير سفر المزامير (ط. ١). مطبعة الكنيسة.
٢٨. ملطي، تادرس يعقوب.(٢٠٠١) .تفسير سفر الخروج (ط. ١). كنيسة مارجرجس.
٢٩. ملطي، تادرس يعقوب.(٢٠٠١) .تفسير سفر عزرا ونحميا .كنيسة مارجرجس.
٣٠. مؤنس، حسين.(١٩٧٣) .اليهودية: دراسة تاريخية .دار المعارف.